ظواهر صوتية وفنية في قصيدة ابن القرية للشاعر عبد المنعم الفرطوسيّ

المدرس المساعد

رضية عبد الزهرة كيطان الإبراهيميّ

المقدِّمة

ولِد الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في قرية الرقاصة التابعة لناحية المجر الكبير وكانت أسرته تمتلك أرضًا زراعية فيها هي مصدر عيشتها وبعد رحيل والده وجد الشاعر نفسه مسؤولًا عن أفراد أسرته فكان يضطر إلى السفر من النجف إلى ناحية المجر الكبير للحصول على ما تجود به أرضه الزراعية ، وقصيدة (ابن القرية) نظمها الشاعر سنة (١٣٦٣هـ -١٩٤٤م) و كان ريف العراق في تلك الفترة يعيش حالة من الجوع والفقر والحرمان والتخلف .

يرسم الشاعر في هذه القصيدة صوراً للذكريات المؤلمة التي علقت في ذاكرته عن الوضع القاسي الذي يعيشه الفلاحون الذين يتعبون في الزراعة والحصاد فلا يجنون غير الفقر والجوع والحرمان فحياتهم نكد وشقاء ، ففي تلك الفترة كان الإقطاع يسيطر على كل شيء ويأخذ كل شيء بينما الفلاح يكاد يموت من الجوع ، وقد نظم الشاعر القصيدة على بحر الكامل ؛ لأنَّ ((دندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصلها عنه بحال من الأحوال))(١)، وهذا ينسجم مع غرض الشاعر الذي يريد هز المشاعر وتحريكها ، يقول الشاعر :

هلَـا جـزوكَ علَـى الصَّـنيع صـنيعا يحيـونَ فِيـك وأنْـتَ تفنَـى جوعَـا(٢)
أسـفًا أبـا الأشـبالِ يقتُلـك الطَّـوى فـردًا وكـــدك يُشـبعُ المـــجموعَا

ويصور الشاعر في هذه القصيدة أيضًا أخلاق الفلاح العالية المستمدة من الأخلاق العربية الأصيلة والتي يتمثل فيها الكرم والاباء والترفع عن الذل والجود بما يملك على الرغم من فقره ، يقول :

وضـيوفكَ العـرب الاماجـد يممـوا لـكَ منزلًـا رحَـبَ الفنـاءِ وسـيعَا(٣)
عـودتهم خصـبَ القـرَى إنْ أجـدبوا فتعـودوا أنْ يبصـروكَ ربيـعَا
أفـهَلْ رأوا نـارَ القـرى مشـبوبةً ورأوا نـداك بجـنبها ينبوعَـا
فتوافـدوا لـكَ في الظـلامِ علـى هـدى يسـتمطرونَ مِـنَ السَّـماحِ هموعَـا
ومَتَـى يطيـقُ الشَّـهمُ مثلـكَ أنْ يـرَى رفـدَ القـرَى عَـنْ ضـيفِه ممنوعَـا
لكـنَّ عـاديةَ الحـوادثِ أرغـمَتْ أنـف الإبـا ذلًـا فعـادَ قطـيعَا

أولًا : ظواهر صوتية

أصوات القصيدة ومناسبتها للمعنى

للصوت أثر مهم في بناء القصيدة ؛لأنَّه يُسهم في بناء الإيقاع الداخلي لها من أجل أن يسبغ الحياة على الكلمات وجعل المتلقي يحسَّ بمعانيها ، كأنَّها حقيقة واقعة فتزداد الرغبة في قراءة الشعر وانشاده وترديده مرارًا وتكرارًا(٤) ، و((الصوت المفرد لا دلالة له في معزل عن الأصوات الأخر التي يتحد معها لتكوين الكلمة))(٥)، والأصوات كما هو معلوم لنا ليست جميعها على مستوى واحد من القوة ، وقد ربط ابن جني (ت٣٩٢ه) بين قوة اللفظ وقوة المعنى في باب قوة اللفظ لقوة المعنى(٦)، فالجهر غير الهمس ؛ ولأنَّ المعاني التي أراد الشاعر طرقها في قصيدته قوية وعنيفة فغايته بث روح التمرد في نفوس الفلاحين لإعلان ثورتهم على وضعهم القاسي ، نلحظ في القصيدة شيوعًا للأصوات المجهورة ؛ لأنَّها تكون مناسبة للمعاني القوية التي أراد الشاعر إيصالها ، ومما نلحظه من شيوع للأصوات المجهورة، قوله :

يـا أيـها المكلـوم في أحشـائهِ بمـدًى تـوزعُ قلبـهُ توزيعَـا(٧)
وأظـن أنَّـكَ مِـنْ ضـمادِك تشـتكي ألَمًـا أمّـضَ مِـنَ الجـراحِ وقوعَـا
أعـظمْ بجـرحِك إنَّـهُ أقـذى الإبـا طـرفًا وصـدع قلـبه تصـديعَا
يُـدمَى فتخضـب مِـنْ مسـيلِ دمائِـهِ أيـدٍ توسّـع شَّـقه توسـيعَا
ماضـرّ مَـنْ خضـبت يـداهُ بجرحِـهِ أنْ لا يلـوّعَ نفسَـهُ تلـويعَا

أفـــديهِ مـــوهوبًا بكـــلِّ خـــليقةٍ محمـــودةٍ عـــفّ الضّـــميرِ وديعَـــا
يعتـــزُ بالصَّـــبرِ الجميـــلِ جَنانـــُـه مهمـــا يـــكُ الخطـــبُ الفظيـــعُ فظيعَـــا

استدعت مناسبة القصيدة وحالة الغضب والثورة عند الشاعر بإزاء الظلم والجور الذي يتعرض له الفلاح اختيار أصوات قوية لإيصال المعنى، فنراه استهل البيت الأول بـ(يا) النداء ؛ لأنّها تنتهي بالألف ، فاستطاع مد صوته ورفعه ليوصله الى المتلقي ليشاركه غضبه وثورته .

ومن الأصوات البارزة في القصيدة ، صوت (التاء) ، نحو قوله :

كَمْ ذا حرثَت الأرضَ حَزْنا فاغتدْتَ سَهْلًا فهل اعطيتْ مِنْها بوعَا(٨)

وقوله :

رفقًا بنفسِك ما تركَتْ بنا يدًا الا وفِيها قَدْ تركَتَ صنيعَا(٩)

أو قوله :

واتتك تزدحمُ الجباةُ ولا أرى لكَ ما يسد عتوَّها المدفوعَا(١٠)

أو قوله :

الزرعُ والبقراتُ قوتُك بعتَها إثر الشياه ولم تفِ المجموعَا(١١)

أو قوله :

ماذا بكوخِك مِنْ حطامٍ يُرتجَى مِنْ أجلِه تتجشَّمُ التَّقريعَا(١٢)

في الأبيات المتقدمة نرى أنّ وجود حرف التاء الشديد المهموس قد ساعد الشاعر على إظهار مشاعره الرافضة للظلم و((فيه من الإصرار والعطاء والتجدد))(١٣) ، فجاء ملائما لنفسية الفلاح وأخلاقه ، ((وعلى الرغم مما أسند إلى هذا الحرف من الشدة والانفجار وما وصف بالقرع بقوة، فإن صوته المتماسك المرن يوحى بملمس بين الطراوة والليونة))(١٤) ، وقد أفاد الشاعر من ((خاصية الرقة والضعف))(١٥) الموجودة في هذا الحرف للدلالة على ضعف الفلاح المغلوب على أمره .

ومن الأصوات التي نجد لها سيادة في القصيدة ، الأصوات الذلقية والأصوات الشفوية (ل، ن ، ر، ب ، م ، ف) التي قال عنها الخليل (ت١٧٥ه): ((إعلم أنَّ

الحروف الذُلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّة وهي : ر ل ن ف ب م وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقاً لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسلةِ اللِّسان والشفتين وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة))(١٦)

قال الشاعر :

أشـــبالكَ الغرثَـــى بطـــونًا روّعـــوا قلـــب العفرنـــى بالبـــكاءِ فريـــعَا(١٧)
ضـجوا وقَـدْ فزعـوا اليـك مِنْ الطَّـوَى هَـــلْ في عيابِـــك مـــا يســـدُّ الجوعَـــا
أتـــراُهمُ يتهـافتونَ علـــى النَّـــوى شـــبه الفـــراشِ إذا أحـــسَ ســـطوعَا
وإذا هـوت كســـرَ الرَّغيـــفِ تـدافعوا وتســـابقوا طـــربًا لهـــا وولوعَـــا
ســـودُ الجســـومِ عراتُـــها فكأنـــما نســـجَتْ لهـم كـفُ الهجـيرِ دروعَـا

نلحظ في المقطع السابق أنَّ أغلب الكلمات قد اشتملت على صوت أو أكثر من الأصوات الذلقية والشفوية ، وكذلك على مستوى القصيدة أيضًا التي يبلغ عدد كلماتها(٥٩٠) كلمة ومجموع الكلمات التي خلت من هذه الاصوات بلغ (٨٧) كلمة ؛ لأنَّ هذه الأصوات تنماز بالخفة وسهولة النطق وشدة الوضوح السمعي فجاءت مناسبة لغرض الشاعر، وبسبب خاصيتها كثرت في كلام العرب وقلما تجد كلمة رباعية او خماسية تخلو منها وإنْ وجدت فهي ليست من كلام العرب(١٨) ، وهي من الحروف التي إذا جاورت أي حرف ((من حروف الهجاء تستسيغها الآذان ولا يتعسر فيها النطق))(١٩)، والأصوات الذلقية ((من أوضح الأصوات الساكنة في السمع .... وعدها القدماء متوسطة بين الشدة والرخاوة))(٢٠) .

١- الصفات الصوتية لمقاطع القافية

للقافية أهمية كبيرة في الشعر فهي شريكة الوزن وقد أولاها القدماء اهتماما كبيرا ، قال ابن جني: ((الأ ترى أنَّ العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنَّها المقاطع))(٢١) ، وتمثل القافية جزءاً مهمًا من موسيقى الشعر ؛ لأنَّها عندما تتكرر بصورة منتظمة في أواخر أبيات القصيدة تكون مثل النقرات الموسيقية التي تطرب لها أذن السامع ويستمتع بترددها ، فالشعر وجد أصلًا للإنشاد والتغني ، و((رنين القافية عقب كل بيت يجعلك تشعر بأنك لاتزال تسير في نفس النغم الموسيقي المتسق ، فاتساق

القافية كاتساق الوزن يخلق شعوراً بوحدة الإيقاع الموائمة لوحدة المعنى))(٢٢) ، والقافية عند الخليل هي : ((ما بين آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرّك الذي قبلَ الساكن))(٢٣) ، ويجب أنَّ تكون القافية متناسبة مع المعنى والغرض ، لا أنْ يؤتى بها ليستوي الروي فقط(٢٤)، وليس كل الحروف تصلح رويًا فهناك حروف تكون ثقيلة تضفي على الكلمات غرابة نحو: ((التاء والثاء والذال والشين والضاد والغين))(٢٥)، وقد اختار الشاعر حرف العين رويا لقصيدته ؛ لأنَّه من الحروف ((جميلة الجرس لذيذة النغم ، سهلة المتناول))(٢٦)، يزاد على ذلك أنَّ صوت العين من ((أكثر الأصوات قدرة على التعبير عن مختلف المشاعر الإنسانية النبيلة))(٢٧) وهو حرف مجهور له قوة ووضوح سمعي عالٍ وهذا ينسجم مع دلالة القصيدة التي أراد بها الشاعر التأثير وإعلان الثورة والتمرد على الوضع البائس ، وبما أنَّ((القافية لا تخرجُ عن إطارِ الكلمات , ولذلك فهي تتكون من مقاطع , وكذلك أنواعها تتكون من مقاطع , وكل نوعٍ يختلفُ مقطعيًا عن الآخر))(٢٨) ، والمقطع هو : ((وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعًا بصائت ، أو حين تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد))(٢٩) ، ونوعية المقطع من حيث طوله وقصره أو كونه مغلقًا أو مفتوحًا له اثر كبير في القصيدة (٣٠) ، يقول الشاعر:

هــذي حقولــك جنــة كَــمْ انتجَــتْ ثمرًا وروضًـــا يانـــعًا ومريعًا(٣١)
هــي دُرَّةٌ زانـــتْ ســـــواك ودرّةٌ حلبتــك منْهــا الغاصــبونَ ضـــروعَا
حُبلــى ومـــرضعة تــدّرُ فهَــلْ لهــا أبصـــرتَ يومًــا مــنْ بنيــك رضــيعَا
وافَــى الحصــادُ إليــك فاعقــد مأتمًــا للحــزْنِ وانـــدبْ قلبَــك المفجوعَــا
قَــدْ كــان عنــدَكَ قبــل يــوم حصــادها أمـــلٌ ترّجـــيه بـــها فاضــيعَا

القافية في الأبيات المتقدمة هي (ريعا ، روعا ، ضيعا ، جوعا ، ضيعا) وتتكون من مقطعين طويلين مفتوحين (ر ـِ/ ع ـً) ، (ر ـُ/ ع ـً) ، (ض ـِ/ ع ـً) ، (ج ـُ/ ع ـً) ، (ض ـِ/ ع ـً) .

لقد أدى اختيار الشاعر للمقطع الطويل المفتوح في قافية قصيدته الى زيادة في قوة الوضوح السمعي في موسيقى القصيدة ، وقد أراد الشاعر مد صوته ليستوعب شحنة أكبر من معاناته وحزنه فاختار الألف وصلًا لقصيدته ؛ ((لأنَّه من حروف المد التي اختص بها الوصل ، لانّ الهدف من الشعر هو الغناء والترنم ، وحروف المد تصلح لتحقيق هذا الهدف لأنَّ الصوت يجري فيهن))(٣٢) ، ونلحظ في الأبيات المتقدمة أنَّ كل حروف القافية مجهورة ؛ لأنَّ لها دورًا ايجابيًا في ((وضوح الصوت ، في حين يجسد الهمس دورا سلبيًا ، لأنَّ علو الصوت يعتمد على معدل ذبذبة الأوتار الصوتية ، فكل انغلاق وانفتاح للأوتار الصوتية في الحنجرة يؤدي الى ظهور قمة في ضغط الهواء ، لذلك يكون الصوت المجهور أوضح من الصوت المهموس))(٣٣).

ويبلغ عدد ابيات القصيدة (٦٣) بيتًا وعند إحصاء قافية القصيدة والحروف المكونة للقافية ، وجدتها على النحو الآتي :

القافية	القافية	القافية	القافية	حروف القافية	نوعها	عددها	حروف القافية	نوعها	عددها
جوعا	نوعا	ريعا	ضيعا	الألف	مجهور	٦٣	ن	مجهور	٤
بيعا	نيعا	جوعا	ليعا	ع	مجهور	٦٣	ف	مهموس	٣
فيعا	ضيعا	طوعا	جيعا						
ريعا	ضيعا	لوعا	طيعا	و	مجهور	٣٣	د	مجهور	٣
موعا	ميعا	روعا	زيعا	ي	مجهور	٣٠	ز	مجهور	٢
موعا	ريعا	سيعا	قوعا	ر	مجهور	٨	ق	مهموس	٢
جيعا	روعا	بيعا	ديعا						
نوعا	ضيعا	بوعا	سيعا	م	مجهور	٧	ل	مجهور	٢
ضوعا	جوعا	بوعا	لويعا	ج	مجهور	٧	س	مهموس	٢
بوعا	ضيعا	موعا	ديعا						
فوعا	فوعا	دوعا	ظيعا	ض	مجهور	٦	ذ	مجهور	١
ذوعا	موعا	لوعا	جوعا	ب	مجهور	٥	ظ	مجهور	١
بوعا	زوعا	طوعا	جيعا	ط	مهموس	٤			
فيعا	ريعا	نوعا	ريعا						
موعا	قوعا	طيعا	روعا						
روعا	فوعا	ميعا							

تبين لنا من الإحصاء السابق كثرة الحروف المجهورة وقلة الأحرف المهموسة ، فعدد الحروف المجهورة (١٥) حرفًا ، والمهموس (٤) أحرف ، وهو أمر طبيعي ليس في الاستعمال الشعري فقط ، بل في الاستعمال اللغوي أيضا فأكثر الكلام يتكون من حروف مجهورة ؛ وذلك للمحافظة على موسيقى اللغة ورنينها الخاص بها(٣٤) ، ونجد أنَّ أكثر الحروف المجهورة استعمالًا هما:

(الألف والعين) لأنَّ الأول وصلُ والثاني روي ، ويليهما(الياء والواو) وهما من حروف المد وقد استعملهما الشاعر ردفًا لقافية قصيدته ؛ لأنَّهما من الصوائت الطويلة ذات الوضوح السمعي العالي التي تمنح النص قوة في المعنى .

ثانياً : ظواهر فنية

١-التقديم والتأخير

التقديم والتأخير ظاهرة موجودة في الشعر والنثر ، وقلما نجد نصا شعريا يخلو منها ، ومنتج النص يوظفها في شعره ، ليس لمقتضيات الوزن والقافية فحسب ؛ بل لأنّ لها غاية نفسية ودلالية ، يريد من ورائها الشاعر إلى منح نصه قوة في المعنى وتعبير أصدق وجمالية أكثر وغيرها من الأسباب.

وقال عنه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ه) : ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية . لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ . ولا تزالُ ترى شعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندكَ أن قُدّم فيه شيءٌ وحُوّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان))(٣٥).

ومن التقديم والتأخير الوارد في قصيدة ابن القرية ، ما يأتي :

أ-تقديم الجار والمجرور على الفاعل .

ومن تقديم الشاعر الجار والمجرور على الفاعل ، قوله :

تشــقَى ويهنــأ فِــي شــقاكَ مــنّعمٌ كــالعود يحــرقُ نفسَــه ليضَــوَّعَا(٣٦)

راعى الشاعر ((الترتيب الوجودي))(٣٧) ، فقدم شقاء الفلاح على النعمة التي يعيشها الإقطاعي ؛ لأنَّ الشقاء سابق على النعمة متقدم عليها ، فهذه النعمة نتيجة لشقاء الفلاح ، فضلًا عن ذلك أراد الشاعر الاهتمام بشقاء الفلاح ، فقدم الجار والمجرور(في شقاك) على الفاعل (منعم) .

وقوله :

يعتــزُ بالصَّــبرِ الجميـــــلِ جَنانـــــُــه مهما يـكُ الخطبُ الفظِيعُ فظيعَـا(٣٨)

أراد الشاعر تعظيم صبر الفلاح فهو انسان صبور على المصائب مهما كانت فظيعة .

ب- تقديم الجار والمجرور على المفعول به .

قدم الشاعر الجار والمجرور على المفعول به في قوله :

وتــديرُ مــنْ نكــد دموعُــك أكؤسًــا ويجرِّعونَـكَ في الكـؤوسِ دموعَـا(٣٩)

وتصــونُ مِــن ألمِ الجــراحِ أكُفَّهــم ويســـــيلُ قلبُــك بالجـــراحِ نجيعَـا

قدم الشاعر الجار والمجرور والمضاف إليه (من نكد دموعك) على المفعول به (أكؤسًا) في البيت الأول ، و(من ألم الجراح) على المفعول به (أكفّهم) في البيت الثاني ؛ لتخصيص الفلاح بذلك فهو الوحيد الذي يذرف الدموع وتسيل جراحه، وقدم الجار والمجرور في الشطر الثاني (في الكؤوس) على المفعول به (دموعا) ، و(بالجراح) على المفعول به (نجيعا) في شطر البيت الثاني ؛ لاشتمال المفعولين على حرف الروي لمراعاة القافية .

وورد تقديم الجار والمجرور على المفعول به أيضًا ، في قوله :

وضــيوفكَ العــرب الاماجــد يممــوا لـكَ منزلًـا رُحْـبَ الفنـاءِ وسـيعَا (٤٠)

قدم الشاعر الجار والمجرور(لك) على المفعول به(منزلا)؛ لتخصيص الفلاح بالكرم هو فمنزله هو المقصد الوحيد لكل ضيف .

ت- تقديم الجار والمجرور على اسم (كان واخواتها) ، نحو قوله :

ومَتَــى يصــونُ مِــنَ الشَّــريفِ ذِمامــهُ زَمَـنٌ يكـون بـه الشَّـريفُ وضـيعَا(٤١)

قدم الشاعر الجار والمجرور (به) على اسم يكون (الشريف) ؛ لتخصيص هذه الحقبة الزمنية من تأريخ العراق ، حقبة الشريف فيها ذليل .

وقوله :

إنْ جنَّـــه اللّيـــلُ البهـــيمُ بجنحِـــهِ أمسَـى لـه الهَـمُّ الممـضُّ ضـجيعَا(٤٢)

أراد الشاعر تخصيص الفلاح وحده بالهم المحرق ، فالهم له وحده .

ث- تقديم خبر (ليس) على اسمها ، نحو قوله :

أ فلـــيس للحـــرِّ الشَّـــريفِ كرامـــةٌ فيهـا يُصـانُ كمـا يصـونُ خليعَـا(٤٣)

ابتدأ الشاعر البيت باستفهام بالهمزة اراد به استنكار هدر كرامة الانسان الشريف ، فقدم خبر ليس شبه الجملة من الجار والمجرور وتابعه (للحر الشريف) على اسمها(كرامة) ؛ لتوجيه العناية والاهتمام لهذا الانسان .

٢-التكرار

التكرار اصطلاحًا هو: ((الاتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني))(٤٤) ، وهو من الظواهر التي تساعد الشاعر على الإفصاح عما بداخله من مشاعر مختلفة ، من ألم وحزن وانفعال وتوتر تجاه موضوع القصيدة ، ويوظفه الشاعر ليمنح المعاني التي يريد إيصالها قوة وتأكيداً أكثر(٤٥) ، ومن ثم يكون التكرار إحدى الأدوات التي تعين الناقد على تحليل النص ونفسية صاحبه وموقفه من المجتمع ؛ لأنَّه يكشف عن الجهة المهمة في العبارة والتي عني بها الشاعر أكثر من غيرها(٤٦) ، وبالتكرار يستطيع الشاعر اغناء المعنى ورفعه الى مرتبة الأصالة اذا أحسن السيطرة عليه وتوظيفه في مكانه المناسب ، أي أنْ يكون وثيق الصلة بالمعنى العام، وإلا أصبح مجرد تكرارات لفظية مبتذلة (٤٧).

يقول الشاعر :

هلَـا جـزوكَ علَـى الصَّـنيع صـنيعا يحيـونَ فيـك وأنْـتَ تفنَـى جوعـا(٤٨)
وتـديرُ مـنْ نكـد دموعَـك أكؤسًـا ويجرِّعونَـكَ في الكـؤوسِ دموعَـا
وتصـونُ مِـن ألمِ الجـراحِ أكُفَّهـم ويسـيلُ قلبُـك بالجـراحِ نجيعَـا
ومرويًـا حتَـى الجّـذوعِ بدمعـه أ فهَـلْ ملكـتَ مـنَ النّخيـلِ جـذوعَا
وأُنـير لا بشـموعه لكـنَّ بـه حُرِقَـتْ أنامـلُ راحتيـك شموعَـا
ويـداكَ لا شـلتَ يـداك كَـمْ اجتنـتْ ثمـرًا وطرفـكَ كَـمْ اغـاثَ زروعَـا
ولقـد نعيْـتُ كمـا رأيـتُ وسـاءني أنـي نعيْـتُ فمـا وجـدْتُ سميعَـا

أراد الشاعر من تكراره الكلمات (صنيع ، دموع ، كؤوس ، الجراح ، الجذوع ، شموع ، يداك ، كم ، نعيت) على مستوى البيت الواحد رسم صورة عن الوضع

البائس الذي يعيشه الفلاح أنداك وتأكيد هذه الصورة ونقلها للمتلقي ليعيش اجواء هذا الوضع ويتفاعل معه ، وللتعبير عن حالته النفسية والانفعالية وهو يرى هذه الطبقة من المجتمع تعاني البؤس والشقاء ، ولا يملك إلا أن يدعوها للثورة والتمرد على هذا الوضع عن طريق تذكيرها بقسوة المتسلطين عليها الذين يقابلون إحسانها بالإساءة ، والنتيجة حياة الفلاح سلسلة متواصلة من دموع لا تنقطع يتلذذ بشربها الأغنياء .

ويستمر الشاعر بوصفه الدقيق لشخصية الفلاح ولحياته وتضحياته فيكرر في البيت الثالث (الجراح) ، فهذا المخلوق البائس يداوي جروح غيره في حين قلبه ينزف دمًا ، وتتصاعد وتيرة الحزن عند الشاعر ليجعل حتى جذوع النخل مروية بدموع الفلاح هذه الجذوع التي لا يملك منها الفلاح شيئًا ، وينتقل بعدها الشاعر لوصف قصور المترفين التي أنيرت بفضل يديّ هذا المظلوم ، فهاتان اليدان هما اللتان تجنيان الزرع ويمضي الشاعر بمدحه الفلاح مستعملًا النفي الذي خرج الى معنى مجازي هو الدعاء للفلاح ، ثم يعضد الشاعر مدحه للفلاح باستعمال (كم) التكثيرية مكرراً إياها مرتين للمبالغة في وصف شقائه ، وفي البيت السابع يستسلم لحزنه ناعيًا الفلاح لكن ما من سميع .

وقد كرر الشاعر الفعل (أرى) ومرادفاته في القصيدة كثيراً على مستوى البيت الواحد أو على مستوى القصيدة ، يقول :

وأراكَ عمـــرَكَ مـــا جنيـــتَ ولا أرَى لـــكَ بِـينَ هاتيـك الجُنـاةِ شـفيعَا(٤٩)

وقوله :

وأظـــــن أنَّ شـــــرورَهم لا تنتهـــــي حَتَى يروكَ علَى الضرِيحِ صريعَا(٥٠)

وقوله :

ولقـــد نعيْـــتُ كمـــا رأيـــتُ وســـاءني أنـي نعيْـتُ فمـا وجـدْتُ سمِيعَـا(٥١)

وقوله :

حُبلَـــى ومرضـــعةٌ تـــدّرُ فهَـــلْ لهـــا أبصرتَ يومًا مِنْ بنِيكَ رضيعَا(٥٢)

وقوله :

وأتتـــك تـــزدحمُ الجبـــاةُ ولا أرَى لـــكَ مـــا يسـدُ عتوَّهـــا المـدفوعَا(٥٣)

وقوله :

وأرَاكَ أجلـــدَ مِـــنْ صـــفاةٍ بيـــنهم وأرَى سواكَ علَى الرِّخاءِ جزوعَا(٥٤)

وقوله :

أتـــراُهمُ يتهافتونَ علـــَى النَّـــوَى شبه الفـراشِ إذا أحسَ سطوعَا(٥٥)

وقوله :

عـوِّدتهم خصـبَ القـرَى إنْ أجـدبوا فتعـــودوا أنْ يبصـــروكَ ربيـــعَا(٥٦)

وقوله :

أتـــرَاهمُ يتـــواردونَ وهـــا هـــمُ حشـدْوا عليـكَ مغانيًـا وربوعَـا(٥٧)

وقوله :

أفـــهَلْ رأوا نـارَ القـــرى مشـــبوبةً ورأوا نـــدَاك بجـنبِها ينبوعَـــا(٥٨)

وقوله :

مـــاذا تقـــولُ لهـــم ولَـــمْ أرَ بُلغـــةٌ فِي الكوخِ تجبرُ قلبكَ المصدوعَا(٥٩)

وقوله :

ومَتَـى يطيـقُ الشَّـهمُ مثلـكَ أنْ يـرَى رفـدَ القـرَى عَـــنْ ضيفِهِ ممنوعَـا(٦٠)

وقوله :

وإذا تجلَـــى الصَّـــبحُ طَـــالعَ نفسَـــهُ ألمَ العنَـا حتَـى يعـودَ صـريعَا(٦١)

نلحظ في الأبيات المتقدمة أنَّ الشاعر قد أفاد من قدرة الفعل على منح القصيدة حيوية وحركة وحياة فكرر الفعل (أرى) بصيغة المضارع (١٠) مرات وبصيغة الماضي (٣) مرات وكرر الشاعر أيضًا الأفعال الدالة عليه (أبصرت، يبصروك، طالع) .

أراد الشاعر التعبير عن مشاعره وحجم انفعاله وتأثره بالوضع البائس وتفاعله مع هذا الوضع فكرر الفعل المضارع بنسبة كبيرة ؛ لأنَّ الفعل المضارع ((يُسهم في نقل هذا التفاعل الى حد بعيد لدلالته على الحركة وتعبيره عن المستقبل))(٦٢) ، واستطاع الشاعر بهذا التكرار نقل الأحداث وكأنها تقع الآن والعين تراها ، فالشاعر

أراد لفت الانتباه الى مدى الألم والحزن والقسوة التي تتعرض لها هذه الطبقة المهمة من المجتمع ، وكرر الفعل بصيغة الماضي ؛ ليدع المتلقي يفكر في هذا الوضع ويتأمل ما يعانيه الفلاح من ظلم وجور وانتهاك حقوقه .

٣- المطابقة

المطابقة هي : ((هي الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار))(٦٣) ، وبما أنَّ هذه القصيدة تؤرخ لحقبة زمنية من تأريخ العراق مليئة بالتناقضات ولطبقتين اجتماعيتين متناقضتين ، نرى حضوراً لهذه الظاهرة في أبيات هذه القصيدة ، فمن ذلك قوله :

أسـفًا أبـا الأشـبالِ يقتلُـكَ الطّـوى ... فـردًا وكـدكَ يُشـبع المجموعَـا(٦٤)
وتجـودُ مِـنْ كـرمٍ بمـا أوتيتـهُ ... ويضـنُّ غـيركَ أنْ تعـيشَ قنوعَـا
تشـقَى ويهنـأُ فـي شـقاكَ مـنّعمٌ ... كـالعود يحـرقُ نفسَـه ليضَـوَّعا
كَمْ ذا حرثتَ الأرضَ حَزْنًا فاغتدَتْ ... سَـهْلًا فهَـلْ أُعطيـتَ منْهـا بوعَـا
ولكَـمْ رفعـتَ لحامـلٍ قصـرًا علَـى ... انقـاضِ كوخـكَ فاسـتطالَ رفيعَـا

أراد الشاعر من الطباق بين الألفاظ(فرد – مجموع) ،(تجود- يضن)،(تشقى- يهنأ)،(حزن(٦٥)- سهل(٦٦) ،(قصر – كوخ) بيان التناقض بين حياة الفلاح وما يعيشه من بؤس وشقاء في حين الإقطاع في رغدٍ من العيش ، فالفلاح يتعب ويكد ولا يجني من تعبه إلا الجوع والنكد والألم والعيش في كوخ بسيط ، وأراد أيضًا بيان البون الشاسع بين أخلاق رجال الإقطاع وأخلاق الفلاح فهو على الرغم من فقره كريم النفس يعطي كل ما يملك وغيره شحيح حتى في أخلاقه .

وعن طريق المطابقة عبر الشاعر عن آلامه وشكواه وهو يرى طبقة اجتماعية عانت كثيراً ، وقدمت تضحيات جسيمة من وقتها وجهدها ، فهذه الطبقة ظُلمت واُنتهكت حقوقها ، إنَّ كل بيت من أبيات القصيدة هو عبارة عن صورة دقيقة التقطها الشاعر بكاميرته ، هذه الكاميرا التي أرَّخت لحقبة زمنية من تأريخ العراق .

ملخص البحث :

تؤرخ قصيدة ابن القرية لحقبة من تأريخ العراق يصف فيها الشاعر طبقة الفلاحين ومعاناتها فنظمها على بحر الكامل ذي التفعيلات الجهيرة الواضحة فجاءت

منسجمة مع غرض القصيدة ، وكانت نسبة شيوع الأصوات المجهورة أكثر من المهموسة على مستوى القصيدة ككل ومستوى مقاطع القافية ؛ لقوة وضوحها السمعي، واشتملت أغلب كلمات القصيدة على الأصوات الذلقية والشفوية ؛ لخفتها ووضوحها وسهولة النطق بها ، ووظف الشاعر ظواهر فنية (التقديم والتأخير، التكرار ، المطابقة) لبيان التناقض الموجود في المجتمع أنداك وتأكيد المعاني ومنحها قوة أكثر وجمالية .

Abstract

Ibn A|-Qarea Dates an era When in the Iraqi history conceming the country Iife of farmers and Their sufferinq.He Wrote it accordinq to Al kamel meter which is known for its sonorous voiced foot. The rate of the voiced feet dominated the hoIe poem for their auditory cIarity, The majoir words of the poem contained biIIabIe, because of its Iightness,cIarity and the easiness of uttering them. The empIoyed an artistic Phenomena(Tntroducing and Delaging ,Repeating , Matching) to show the existing contrast in the society at that time to emphasize and empower the meaning.

هوامش البحث

(١) المُرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب : ٣٠٣/١ .

(٢) ديوان الفرطوسي ، عبد المنعم الفرطوسي : ١/ ١٥٣ .

(٣) م . ن : ١/ ١٥٦ .

(٤) ظ : موسيقى الشعر ، د . إبراهيم أنيس : ١٤ .

(٥) : في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي , والنفي اللغوي , وأسلوب الاستفهام , د. خليل أحمد عمايرة : ٢٧ .

(٦) ظ : الخصائص , تحقيق : محمد علي النجار:٣/ ٢٦٤- ٢٦٩.

(٧) ديوان الفرطوسي :١/ ١٥٧ .

(٨) م . ن :١/ ١٥٤ .

(٩) م . ن :١/ ١٥٧ .

(١٠) م . ن :١/ ١٥٥ .

(١١) م . ن :١/ ١٥٥.
(١٢) م . ن :١/ ١٥٥ .
(١٣) توترات الابداع الشعري ، د . حبيب مونسي :١٧.
(١٤) خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة ، حسن عباس : ٤٤ .
(١٥) حروف المعاني بين الأصالة والحداثة دراسة , حسن عباس : ٤٥ .
(١٦) كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) , تحقيق : د . مهدي المخزومي , د . إبراهيم السامرائي: ا/٥١ .
(١٧) ديوان الفرطوسي :١/ ١٥٥- ١٥٦ .
(١٨) كتاب العين : ١/ ٥٢ .
(١٩) موسيقى الشعر : ٢٦ .
(٢٠) الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس : ٥٥ .
(٢١) الخصائص ، ابن جني : ١/ ٨٤ .
(٢٢) فن التقطيع الشعري والقافية ، د. صفاء خلوصي : ٢٢٠.
(٢٣) : كتاب القوافي , الاخفش الأوسط ، تحقيق : د . عزة حسن :١
(٢٤) ظ : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري(٣٩٥هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم: ٤٥٠ .
(٢٥) اصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب :٣٢٥ .
(٢٦) م . ن : ٣٢٥.
(٢٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٦٤ .
(٢٨) القافية دراسة صوتية جديدة , د. حازم علي كمال الدين: ٣٤٢.
(٢٩) أبحاث في اصوات العربية ، الدكتور حسام سعيد النعيمي : ٨ .
(٣٠) ظ : منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري الآفاق النظرية وواقعية التطبيق ، د. قاسم البريسم: ٤٨- ٤٩ .
(٣١) ديوان الفرطوسي :١/ ١٥٤١ – ١٥٥ .
(٣٢) القافية دراسة صوتية جديدة : ٧٤.
(٣٣) منهج النقد الصوتي : ٤٩.
(٣٤) ظ : الاصوات اللغوية : ٢٢-٢٣ ، موسيقى الشعر : ٣٠ .

(٣٥) : كتاب دلائل الأعجاز ، أبو بكر , عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) , قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر: ١٠٦ .

(٣٦) ديوان الفرطوسي :١/ ١٥٤ .

(٣٧) : دلالات التقديم والتأخير في القران الكريم دراسة تحليلية ، د . منير محمود المسيري : ٦٠ .

(٣٨) : ديوان الفرطوسي :١/ ١٥٧ .

(٣٩) م . ن :١/ ١٥٣ .

(٤٠) م . ن :١/ ١٥٦ .

(٤١) م . ن :١/ ١٥٤ .

(٤٢) م . ن :١/ ١٥٧ .

(٤٣) م . ن :١/ ١٥٦ .

(٤٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب , مهدي وهبة , كامل المهندس : ١١٧ .

(٤٥) ظ : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) , قدمهُ وعلّق عليه: د. أحمد الحوفي , د. بدوي طبانة : ٤/٣ ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات ، د. محمد صابر عبيد: ١٨٩ .

(٤٦) ظ : قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٢٤٢، لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي : ١٦٠.

(٤٧) ظ : قضايا الشعر المعاصر : ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٤٨) ديوان الفرطوسي :١/ ١٥٣- ١٥٤ .

(٤٩) م . ن : ١/ ١٥٣ .

(٥٠) م . ن : ١/ ١٥٣ .

(٥١) م . ن : ١/ ١٥٤ .

(٥٢) م . ن : ١/ ١٥٥ .

(٥٣) م . ن : ١/ ١٥٥ .

(٥٤) م . ن: ١/ ١٥٥ .

(٥٥) م . ن : ١/ ١٥٦ .

(٥٦) م . ن : ١/ ١٥٦ .
(٥٧) م . ن : ١/ ١٥٦ .
(٥٨) م . ن : ١/ ١٥٦ .
(٥٩) م . ن : ١/ ١٥٦ .
(٦٠) م . ن : ١/ ١٥٦ .
(٦١) م . ن : ١/ ١٥٧ .
(٦٢) لغة الشعر العراقي المعاصر : ١٥٦ .
(٦٣) المثل السائر : ١٤٣/٣.
(٦٤) ديوان الفرطوسي : ١٥٣/١- ١٥٤ .
(٦٥) : حَزْن : ((ما غلُظَ مِنَ الأرض)) لسان العرب ، ابن منظور :(حزن)١٣/ ١٦٢.
(٦٦) : سَهْل : ((السهل من الأرض نقيض الحزن)) لسان العرب : (سهل)١١/ ٣٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

- أبحاث في أصوات العربية ، الدكتور حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس , مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د . ت).
- أصول النقد الأدبي , أحمد الشايب , مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة , ط١٠ , ١٩٩٤م .
- توترات الابداع الشعري ، الدكتور حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، مكتبة الأسد ، ٢٠٠٩م .
- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة دراسة , حسن عباس , منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق , ٢٠٠٠م .
- خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة ، حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٨م .
- الخصائص, أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) , تحقيق : محمد علي النجار , دار الكتب المصرية ، القاهرة , المكتبة العلمية ، (د.ت) .
- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية ، الدكتور منير محمود المسيري، تقديم الدكتور : عبد العظيم المطعني ، الدكتور : علي جمعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

- ديوان الفرطوسي, عبد المنعم الفرطوسي , مطبعة الغري الحديثة ، النجف , ط٢ , ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .
- فن التقطيع الشعري, الدكتور صفاء خلوصي , منشورات مكتبة المثنى ، بغداد , مؤسسة المطبوعات العربية , بيروت – لبنان , ط٥ , ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي , والنفي اللغوي , وأسلوب الاستفهام , الدكتور خليل أحمد عمايرة , مكتبة المنار ، الأردن , ط١ , ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- القافية دراسة صوتية جديدة جديدة , الدكتور حازم علي كمال الدين , مكتبة الآداب ، القاهرة , ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات ، الدكتور محمد صابر عبيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .
- قضايا الشعر المعاصر, نازك الملائكة , مكتبة النهضة ، بغداد , ط٣ , ١٩٦٧م .
- كتاب دلائل الاعجاز الإعجاز , أبو بكر , عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) , قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر , مكتبة الخانجي ، القاهرة , (د.ت) .
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري(٣٩٥هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العلمية ، مصر ، ط١ ، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م .
- كتاب العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) , تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي , الدكتور إبراهيم السامرائي , مؤسسة دار الهجرة ، إيران , ط٢ , ١٤٠٩هـ .
- كتاب القوافي , أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) ، تحقيق : د . عزة حسن ، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم ، دمشق ،١٣٩٠هـ -١٩٧٠م .
- لسان العرب , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري(ت٧١١هـ) , دار صادر ، بيروت , (د.ت) .

❖ المثل السائر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) , قدمهُ وعلّق عليه: الدكتور أحمد الحوفي , الدكتور بدوي طبانة , دار نهضة مصر ، القاهرة , ط٢ , ١٩٧٣م .
❖ المُرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبدالله الطيب ، مطبعة حكومة الكويت – الكويت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
❖ معجم المصطلحات معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب , مهدي وهبة , كامل المهندس , مكتبة لبنان ، بيروت , ط٢ , ١٩٨٤م .
❖ منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري الآفاق النظرية وواقعية التطبيق ، الدكتور قاسم البريسم ، دار الكنوز الأدبية ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
❖ موسيقى الشعر, الدكتور إبراهيم أنيس , مكتبة الأنجلو المصرية , مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة , ط٢ , ١٩٥٢م .